الفصل الأول

التاريخ اليهودي

١-اليهود في تاريخهم القديم.

٢-اليهود في ظل دولة الإسلام.

٣-اليهود في أوروبا.

٤-اليهود والقرآن.

٥-اليهود والصهيونية.

اليهود في تاريخهم القديم

لا نكاد نجد توقيتا محددا للهجرة التي قام بها إبراهيم- عليه السلام- من مدينة (أور) الكلدانية- كما تقول التوراة- في طريقه إلى مصر، ثم عودته إلى بلاد كنعان.. وأن كان أكثر المؤرخين يرجعون بداية الرحلة إلى حوالي ٢٠٠٠ ق.م، ويرجع بعضهم حدوثها عام ١٧٥٠ ق.م.

كما أن أكثر المؤرخين يرجعون بأبي الأنبياء إلى أصل آرامي، والآراميون ينتسبون إلى أصول عربية هاجرت من الجنوب في أزمنة سابقة، وظلت اللغة الآرامية تحمل في جذورها السمات العربية..

هذا.. مع أن أسماء إبراهيم التي أوردتها التوراة تشترك مع أسماء معروفة أيا مئذ في المنطقة القريبة من مدينة حران- جنوبي تركيا- أمثال

(تيرا وناحور وسروج وبلغ)، بالإضافة إلى أن اسم (إبراهيم) قد ورد في نصوص ذلك العهد (أبراثاما)، يسمى به الناس ذكورهم..

ولعل السبب في هذا الترابط- وما يوهم بالاختلاط- مرده إلى الاضطرابات التي صحبت سقوط (أور) في أواخر دولة (أور) الثالثة، تحت هجمات العيلاميين والعموريين.. ولا شك في أن كثيرين هاجروا- أبان هذا الصراع السياسي والعسكري- وحملوا معهم تلك الأسماء التي تسمي بها إبراهيم وآباؤه.. وفي نفس الوقت أخذ إبراهيم طريقة إلى الشمال، ثم إلى الجنوب طلبا للأمان، مما يفيد أن وجود هذه (الأسماء) في حران ثمرة من ثمار الهجرة إليها..

ويؤيد جون بريت John Bright هجرة إبراهيم من أور في كتابة (تاريخ إسرائيل) بأن (الأثر البابلي الواضح الذي نلمسه في كتابات التوراة الحالية- عند كلامها عن الخليقة وأصل الكون ونهاية الطوفان- ما هو إلا ما بقى في أذهان العبريين [1] وقت كتابتهم هذا الجزء من التوراة بعد ذلك، مما جلبه معه إبراهيم من معتقدات بابلية، ولقنها أولاده، وبقيت تنتقل بالرواية من جيل إلى جيل، حتى أيام تدوينها، على عهد سليمان بن داود.

وفي هذا الجزء من التوراة المعنون بالخليقة- تكوين- تقرأ أن إبراهيم قد نصب إيليازور الدمشقي وأرثا له، حيث لم يكن لديه من يرثه وقتذاك، وأن تنصيب شخص عقيم لرجل آخر وأرثا له، يعتني بدفنه، ويرث ما يترك، كان معروفا بين الخوريين الذين اتخذ فريق منهم مدينة نوزي- يورغان تبه، قرب كركوك- عاصمة لهم، وقطن فريق منهم سورية وفلسطين وآسيا الصغرى.

وينبغي ملاحظة أن هجرة إبراهيم لم تكن هجرة أفراد، بل كانت هجرة جماعات، تضم الزوجات والأبناء والعبيد وما يملكون من الحيوانات..

---

(١) أطلق على اليهود لفظ عابيرو وحابيرو وهابيرو وعابور "العبرانيون أو العبريون" مما يفيد العبور والارتحال وعدم الاستقرار، والمصريون إلى اليوم يطلقون على النعجة اسم "عابورا" مما يفيد صحة التعليل.

من أجل هذا تمكن إبراهيم من الوقوف بجيش عدته ٣١٨ رجلا من أهل بيته في مواجهة (كدرلعومر) والملوك الذين معه، وطاردهم (إلى حوية التي عن شمال دمشق ((تكوين- ١٥))..

وهذه الهجرة الجماعية لم تكن تأخذ طريقا أمما، بل كانت تنتجع المراعي ولم تكن تأخذ طريقا أمما، بل كانت تنتجع المراعي ولم يكن لها هدف محدد.. ومن ثم مر إبراهيم ببلاد كثيرة استضافته، وأكرمت مثواه، وصاهر منها وانتهى مطافه إلى هذه الأرض التي تزخر بشعوب كثيرة قنزية، وقينية، وقدمونية، وفرزية، ورفائية، وأمورية، وحرفاشية، ويبوسية، وحيثية، وكنعانية، فلسطينية.. (تكوين-١٥)..

والتقى إبراهيم بديانات مختلفة، تسللت إلى ديانته، وإلى ديانة أبنائه من بعده، عن طريق الأخبار المتناقلة في تلك الجماعة الكبيرة المتحركة، مع تطوير الروايات المنقولة، فنسب إلى إبراهيم وإلى الأنبياء من بعده- حتى جاء عصر التوراة المدونة- اعداد من الآلهة، لا شك في أنهم أبرياء منها..

ومع الآلهة العديدين الذين نسبتهم التوراة إلى (الآباء) فان كتاب التوراة حرصوا على تأكيد ملكية أرض كنعان بوعد من (الرب) لإبراهيم، حتى ليحار المرء أي رب هذا؟!. ولماذا كان حرص (الآباء) بعد ذلك على الهجرة إلى مصر، دون التمسك بوعد الله؟!

(قال لإبرام- بعد اعتزال لوط عنه- ارفع عينيك، وانظر من الوضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، لأن جميع الأرض التي أنت ترى، لك أعطيتها، ولنسلك إلى الأبد.. قم امش في الأرض طولها وعرضها، لأني لك أعطيها.. (تكوين-١٣).

لكن- بعد ذلك- قطع مع إبرام ميثاقا، قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات).. (تكوين- ١٥).

ولعلهم- من أجل هذا الميثاق- كانوا يذهبون إلى مصر، بحكم كونها داخلة في هذا الميثاق.

ومن تمام الميثاق أن سيخرج من صلب إبراهيم أثنى عشر سبطا، يملكون أرض كنعان، مقابل عبادتهم له وحده.. وطلب منه أن يختن الذكور علامة هذا الميثاق.

وما لبث إبراهيم أن رزق بإسماعيل من جاريته (هاجر) التي ارتحلت بابنها إلى الجنوب، إلى واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم، وولدت (سارة) اسحق الذي أنجب يعقوب، وخلف يعقوب اثني عشر ولدا، هم الأسباط: راوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير.

ولقد هيأ لهم (يوسف) في مصر، وأتحل يعقوب وأبناؤه بدعوة من يوسف وكان عددهم سبعين فردا [٢]، وظلوا في مصر خمسمائة عام تقريبا، تكاثروا فيها غاية التكاثر، حتى صاروا سبعمائة ألف تقريبا- كما تدعي التوراة (عدد-١) عندما بدأوا رحلة الخروج، هربا من فرعون مصر سنة ١٢١٣ ق.م، وان كان المؤرخون يرون أنهم لم يتجاوزوا عشرة آلاف.

وخلال وجودهم في مصر ربطوا مصالحهم بوجود حكام مصر من (الهكسوس) المستعمرين- (٢٠٩٨- ١٥٨٧ ق.م)- وأنشبوا مخالبهم في الاقتصاد المصري، واتسع نفوذهم في مجالات مختلفة، فلما انتصر المصريون على الهكسوس نقم الحكم الوطني عليهم، لأنهم أثروا على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم، وتآمروا مع المستعمر ضد أصحاب الأرض ولم يشاركوا فيما يباشر المصريون من أعمال البناء وفلاحة الأرض، وحينما كانت تنزل الشدائد بالبلاد استغلوها لأضعاف معنويات الشعب، وضيقوا عليه وسائل العيش.. ومن ثم أحس اليهود في ظل الحكم الوطني بأن دولتهم إلى زوال، فأخذوا يجمعون أموالهم، ويستعدون للإفلات بمكاسبهم، ولكنهم تجاوزوا وطمعوا فيما يملك المصريون من الذهب، ونبهوا خزائن القمح في المنطقة التي تمركزوا فيها بإقليم الشرقية.

(٢) هناك من يقول أن هذا تم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد زمن العمارنة.

-منطقة الصالحية اليوم- إذ صدرت إليهم أوامر الرب (أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين).. (خروج-٣).

ولكن مطاردة المصريين لهم، وقسوة ما أصابهم من الهلع والرعب، جعلهم يتيهون في سيناء أربعين عاما، لا يدرون من أمرهم، حتى كاد يفنى جيل (الخروج) وقدر (الرب) ما أصابهم، فقال: (لا يرد الشعب إلى مصر، الرب قد قال لكم: لا تعودوا ترجعون في هذه الطريق).. (تثنية-١٧) ونسي ميثاقه لإبراهيم.

وأراد موسي أن يخفف من آلامهم، وأن يبث في قلوبهم الأمن والأمل، فقال على لسان الرب في جبل حوريب: (أني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم، أني علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جديدة وواسعة، إلى أرض جديدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا، إلى مكان الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحوريين واليبوسيين).. (خروج-٣).

وقد اختلف المؤرخون في أصل موسي، هل هو مصري أو عبراني؟

وحجة من يدعون أنه مصري كون اسمه مصريا بمعنى الطفل أو الابن، وأنه كان ذا مكانة بين الحاكمين، إذ كان ضابطا في جيش مصر ضد الأحباش، كما يقول فرويد، مستعينا بما قال الفيلسوف اليهودي ويوسيفوس المؤرخ اليهودي.

وهذا زعم باطل، لأن الاسم والمكانة يرجعان إلى تبني امرأة فرعون له، كما تقول رواية القرآن الكريم، بعد ما أمر فرعون بذبح مواليد اليهود من الذكور:

"وأوحينا إلى أم موسي أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه فاليم، ولا تخافي، ولا تحزني، أنا رادوه إليك، وجاعلوه من المرسلين، فالتقطه آل فرعون...

وقالت امرأة فرعون: قرة عين لي ولك، لا تقتلوه، عسي أن ينفعنا أو نتخذه ولدا" (القصص- ٩/٧).

وبدون نظر إلى ما جاء في القرآن الكريم، فليس ما يمنع من التمسي بالأسماء المصرية خلال خمسمائة عام، وماذا يحول دون أن يصبح موسي قائدا في جيش مصر، وقد ربط يوسف بين اليهود والمناصب القيادية في الدولة؟ ثم إن اليهود كانوا في خدمة (الهكسوس) المستعمرين، مما يساعد على الوصول إلى المناصب الكبيرة، وتاريخ الشرق مع اليهود- حتى عهد قريب- لم يكن يحرمهم من هذه المناصب، فكان منهم أصحاب الكلمة النافذة في المجتمع الإسلامي!!

وتخبرنا المصادر التاريخية- كما جاء في القرآن الكريم- أن موسى قتل مصريا، وخاف أن يؤخذ بجريمته، ففر إلى بلاد مدين، والتقى بكاهنها (يثرون)- نبي الله شعيب- وتزوج ابنته، وأخذ عنه بعض التعاليم الدينية، وحين عودته إلى مصر ناداه الله: "اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوي، وأنا اخترتك، فاستمع لما يوحى، أنني أنا الله، لا إله إلا أنا، فاعبدني، وأقم الصلاة لذكري....اذهب إلى فرعون إنه طغى...اذهب أنت وأخوك بآياتي، ولا تنيا في ذكري.. فقولا له قولا لينا، لعله يتذكر أو يخشى".. (طه- الربع الأول).

ونجح موسى في تجميع الشعب اليهودي من حوله، وانضم إليه عدد من المصريين الساخطين من الأسرى والعبيد، وخرج الشعب فارا من وجه فرعون (منفتاح ١٢١٣ ق.م.)[٣] الذي أبى ألا أن ينتقم من هؤلاء الذين قصدوا إلى تدمير الاقتصاد المصري.

ويمد الله العون لهؤلاء المطاردين، فيفتح لهم طريقا في البحر، ويفجر لهم الينابيع، وينزل لهم المن والسلوى.. ولكن طبيعة الجحود في نفوس هؤلاء القوم تأبى إلا الكفر بالله وبنعمته، "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة... قال: أغير الله أبغيكم إلها، وهو فضلكم على العالمين" (الأعراف ١٣٨/١٤٠).

---

(٣) قرأت أخيرا ما يرجح أنه تحتمس الثالث وليس رمسيس الثاني أو منفتاح. مجلة أكتوبر عدد سبتمبر سنة ١٩٧٧م.

وما لبث موسى أن ذهب للقاء ربه، فإذا هم ينتهزون فرصة غيبته، فيصنعون عجلا من الذهب يعبدونه.

وتسجل التوراة أن هؤلاء القوم قد وقعوا في أسر الآلهة الأسطورية في المناطق التي نزلوا بها، وبخاصة الإله (يهوه) إله البراكين الذي يظهر مغلفا بالسحاب نهارا، وبالنار ليلا، ويتابعهم حيثما ارتحلوا (عدد-١٤).. وكانت تتلخص عبادته في إقامة مآدب صحراوية وذبائح وقرابين محروقة.. وكذلك الآلهة (عنات)، آلهة الأساطير الكنعانية، ذات الشهوة الدامية.. وعلى هذا تتمثل أوامر الرب في صورة انتقامية رهيبة.. يقول الرب لموسي: (متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك.. لا تقطع لهم عهدا، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم).. (ثنية-٧) من أجل أنهم (لم يلاقوكم بالخبز والماء، في الطريق عند خروجكم من مصر).. (تثنية-٢٣).

بعد ما قويت شوكة اليهود بقيادة (يشوع)[٤] أطلق الرب يده في صحاب الأرض قتلا ونهبا وختلا ورجما وحرقا وصلبا وتمثيلا.. (حرموا كل ما في المدينة، من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف.. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها).. (يشوع ٦،٨،١٠).

نزل هذا كله بأريحا، وعاي، ولبنه، ولخيش، وجازر، وعجلون، ودير، وحاصور.

ولقد بلغت روح الانتقام والتشفي عند يشوع- كما تحكي التوراة[٥]- حد أنه بعد ما انهزم ملوك الأموريين الخمسة، ووقعوا في أسره، قال (لقواده، رجال الحرب الذين ساروا معه: تقدموا، وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك.. وضربهم يشوع بعد ذلك، وقتلهم، وعلقهم على خمس خشب، وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء).. (يشوع-١٠).

ويرى المؤرخون أن طبيعة هذه الانتصارات لم تكن بسبب قوة اليهود وشجاعتهم، بل بسبب ما أصاب البلاد من تمزق وفوضى، حتى

---

(٤) يذكر اخوان الصفاء أنه "يوشع بن نون ولد يوسف النبي" وأنه ظهر فيهم بعد وفاة موسى بأربعين سنة من التيه- "رسائل اخوان الصفا، ج٤ ص٢٨ ط دار صادر ببيروت سنة ١٩٥٧" على حين يتحدث المفسرون للقرآن الكريم أنه الفتى الذي صحب موسى في طريقه إلى الرجل الصالح.

(٥) لم نناقش أخبار التوراة لأنها تعبر عن واقع التاريخ النفسي والسياسي والعسكري لليهود.

عاثت فيها عصابات الخابيرو- المكاريين- فسادا، وكان أن طلب (عبدو خيبا)- حاكم القدس نيابة عن الفرعون المصري- خمسين جنديا فقط لحفظ النظام.. فإذا انتصر يشوع بأكثر من عشرة آلاف موحدين تحت قيادته فالأمر لا يعدو مغامرة في غير ميدان.

يقول جوستاف لوبون: (أن عدد بني إسرائيل، واحتياجاتهم وبؤسهم في مصر، وحرمانهم الهائل- مما جمع بينهم وأقنطهم، فصاروا كقطيع الذئاب الهزيلة التي دفعها الجوع إلى الاقتراب حتى من المدن)...

ويقول: (كان بنو إسرائيل أقل من أمة حتى زمن شاءول، وكانوا أخلاطا من عصابات جامحة، كانوا مجموعة غير منسجمة منه قبائل سامية صغيرة أفاقة بدوية تقوم حياتها على الغزو والفتح والجدب وانتهاب القرى الصغيرة، حيث تقضي عيشا رغيدا دفعة واحدة في بضعة أيام، فإذا مضت الأيام القليلة عادت إلى حياة التيه والبؤس).

بعد أن استولى يشوع على أرض كنعان قسمها بين إحدى عشرة قبيلة (سبطا)، وجعل لقبيلة (لاوي) الشئون الدينية، استجابة لقول الرب مخاطبا موسي: (قرب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين إسرائيل، ليكهن لي).. (خروج-٢٨).

ويلاحظ في ذلك الحين أن أثر موسى فيهم كان محدودا، إذ لم يكد يبقى له من وجود فيهم يتجاوز (لوحين)، كتب فيهما (الرب) الوصايا العشر وظلا في (تابوت) ينتقل معهم حتى بني سليمان بيت الرب.

ولأنهم كانوا أصحاب حضارة بدائية بدوية فقد أصابهم الاستقرار- في أرض زراعية ذات مجتمع له أصوله الحضارية العريقة- بالخضوع لتقاليد المجتمع الجديد، وقدسوا الإله (بعل)، وهجروا لهجتهم السامية الأصيلة، واتخذوا اللغة الكنعانية، وورثوا عن الكنعانيين أسس الثقافة المادية. كما تسللت إليهم تقاليد الفحش المقدس، إذ كان العذاري ينذرن أنفسهن حال بلوغهن للإله، فيمارسن البغاء مع زوار معبده، وكذلك أخذوا بتقاليد عبادة الإله (تموز) الذي كان الكنعانيون يعتقدون-كغيرهم من أقوام الشرق الأوسط القديم- موته صيفا وعودة الحياة إليه ربيعا.

ومن أثر الحضارة الكنعانية أن أصبح قادة اليهود- بعد يشوع- قضاة، انحطوا بالبلاد سياسيا، بسبب توقف الزحف العسكري، والانغماس في حياة مدنية غير مألوفة.. وظل بنو إسرائيل- كما قال جوستاف لوبون- قوما من

الزراع والرعاة، حتى بعد صلتهم الطويلة بالحضارة الكلدانية، من بعد المصرية والكنعانية، بقى بنو إسرائيل- حتى في عهد ملوكهم- بدويين، أفاقين، مغيرين، سفاكين، مندفعين في الخصام الوحشي، فإذا ما بلغ الجهد منهم ركنوا إلى خيال رخيص، تائهة أبصارهم في القضاء، كسالي، خالين من الفكر، كأنعامهم التي يحرسونها...

جاء الفلسطينيون من جزيرة كريت، فرارا من وجه الهجرات اليونانية التي أزاحتهم عن مواطنهم، ودخلوا أرض كنعان، وسكنوا غزة وأشدود وعسقلان وأكرون وجاث، وانتصروا على سكان البلاد انتصارا باهرا، بفضل أسلحتهم المصنوعة من الحديد، و بلغوا أوج قوتهم في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ق.م.

بفضل ثقافتهم المتقدمة- كما يقول البروفسور روبنسون- وبفضل العربات الحديدة التي كانوا يركبونها في الحرب [٦].. فلما التقوا باليهود حوالي ١٠٥٠ ق.م. أوقعوا بهم هزائم متلاحقة، حتى استولوا على تابوت العهد وأخذوه إلى أشدود، وظلت لهم اليد العليا، مما دفع الإسرائيليين إلى الالتفات حول شخص يحيي أملهم، ويغذي طموحهم في السيطرة من جديد، وكان أن توجوا الملك شاءول- حوالي ١٠٠٤/١٠٢٠ ق.م- الذي كان معروفا بالقوة والبأس، ولكنه لم ينجح في مهمته، وقتل هو وأولاده، وقطع الأعداء رأسه، وعلقوه مع أبنائه في بيسان، وأودعوه درعه وسلاحه قربانا في معبد الآلهة عشتاروت.

وولى الأمر داود- الذي كان حامل درع شاءول في حدود ١٠٠٤/٩٦٠ ق.م. وكان في أول الأمر يحكم بصفته تابعا للفلسطينيين، ولكنه تمكن من إحراز الاستقلال، ولم يكتف بذلك، بل إنه وسع حدود مملكته إلى جهات لم يبلغها سلطان اليهود من قبل، واحتل القدس، وجعلها عاصمة ملكه، بعد مقاومة عنيدة من اليبوسيين استمرت طويلا، وأقام إدارة على الطراز المصري القديم، وأجبر دمشق على دفع الخراج له، كما أحبط مؤامرة ابنه أبشالوم، وأخمد ثورة الولايات الشمالية من مملكته، وأخضع ألموابين والأدوميين والعمونيين .. ومع هذا فالدولة في أوج خيلائها- كما يقول بيللوك- كانت مائة وعشرين ميلا في أطول أطوالها، وستين ميلا في أعرض أعراضها، وأقل من ذلك بكثير في أغلب الأحيان، فإذا خرج الرجل مع طلوع الشمس من القدس متجها شرقا أو شمالا أو غربا، كان في وسعه

(٦) وكان الرب مع يهوذا، فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي، لأن لهم مركبات حديد) القضاة-١٩.

أن يبلغ أطرافها في فترة وجيزة من الصباح.. أنه لا يقطع اثني عشر ميلا في أي من هذه الاتجاهات إلا ويكون قد خرج من حدود تلك المقاطعة.

وخلف داود ابنه سليمان الذي بدأ حكمه بقتل أخيه الأكبر أدونيا، وقتل يؤاب رئيس جيش أبيه، وعزل ابياثار الكاهن.. وكانت مصر وأشور في حالة اضطراب مما ساعده على البلوغ بمملكته (٩٦٠/٩٢٥ ق.م.) أوج ازدهارها.

كان اهتمامه بالتجارة الخارجية والصناعة والتعدين والبناء والتعمير من عوامل عيشة البذخ والإسراف، على غرار ملوك مصر وآشور، وأسرف في بناء قصره الذي استغرق بناؤه ثلاثة عشر عاما. واشتهر كذلك ببناء المعبد المشهور باسم (هيكل سليمان)، واستغرق بناؤه سبع سنين، وقد اتضحت في بنائه الرمزية الكنعانية. واهتم ببناء الحصون والقلاع والثكنات، وأنشأ بمساعدة صديقه (حيرام) ملك صور أسطولا من السفن المجاورة سبيلا إلى الاستقرار.

ومع ذلك نشط أعداؤه، فاستعادوا بعض البقاع التي كانت خاضعة لأبيه وانكمش ملكه في آخر عهده، فاقتصر على غرب الأردن.

بعد سليمان انقسمت الدولة إلى قسمين: (يهوذا) تحت حكم (رحبعام) ابن سليمان الذي لم يستطع بسبب بطشه جمع شمل البلاد، واتخذ عاصمة ملكه (أورشليم)، أما (إسرائيل) فكانت تحت حكم (بربعام)- من سبط أفرايم- الذي اتخذ عاصمة دولته مدينة (السامرة) في الشمال (٩٢٢ ق.م. تقريبا).

ووقع العداء بين الدولتين، وحدثت سلسلة من الحروب والفتن والاختلاف في العقيدة أطمعت شيشنق فرعون مصر وصهر سليمان، فاستولى على أورشليم، ونهب ما فيها من كنوز.. وفي هذه الأثناء كانت دولة الأشوريين تزداد قوة فتوجه سرجون (٧٢٢ ق.م) إلى الشام، واستولى على السامرة، ونقل كثيرا من سكانها أسرى، ثم قضى على دولة يهوذا.

واستسلم الملك (أحاز) لحكم تجلات بلاصر، الملك الأشوري.. وفي عهده بني الهيكل للمرة الثانية بإشراف (أوريا) الكاهن، ثم أخذ هذا الملك الإسرائيلي مدبحا وثنيا، واستعمله في معبده (الملوك الثاني ينددون بالشرك ويستمطرون اللعنات على الآثمين.

وحدث صراع بين الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الأدعياء، وأصبح لكل حاكم أنبياؤه، وبرز (ايليا) بمراثيه، وشجع (اليشع) على قيام ثورة أدت إلى المدينة ليبيع ويشتري ويرى الترف والفساد فقد دعا إلى الإصلاح الاجتماعي، وحث الأثرياء على الرأفة بالفقراء، وأنذر الناس بغضب (يهوه) وانتقامه، كما انتقد الفحش المقدس، وعبادة الآلهة الأخرى.

وفي سنة ٦٢١ ق.م ادعى حاخام المعبد في القدس أنه رأى أثناء نومه النبي موسى، وانه أخبره بأن إسرائيل قد ضلت سواء السبيل، وأن الكتاب الذي كتبه من كلمات الخالق موجودة في مكان حدده من المعبد.. فلما استيقظ الحاخام حفر في المكان الذي ذكره موسى، فوجد سفر (التثنية).. وصدرت أوامر الملك بتنفيذ ما جاء في السفر وإزالة مظاهر الوثنية.. ودبت الحياة من جديد في العروق الجافة.

لكن ما لبث أن سقطت القدس (سنة ٥٩٨ ق.م) في يد نبوخذ نصر ملك بابل، وساق أمامه الملك (يهوياقين) والنبي (حزقيال)، ومعهما سبعة آلاف رجل مسلح وألف عامل، مكبلين بالحديد، فكان هذا الأسر البابلي الأول.. وبعد سنوات ثارت مملكة يهوذا بتحريض من مصر، فغضب نبوخذ نصر، ودمر أورشليم (سنة ٥٨٦ ق.م) وحرق هيكل سليمان، وسلب خزائن المدينة ونقلها إلى بابل، وقتل من سكانها عددا كبيرا، وأخذ معه أربعين ألف أسير الثاني، وقبض على الملك (صدفيا) وأخذه مكبلا مع الأسري، وشرد من بقى من اليهود.

ويعلل التلمود ما نزل باليهود بقوله: (عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها، وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم، وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذيرات أرمياه) الذي وجه القول إلى نبوخذ نصر: (لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، أنها ذنوبهم الفاجرة التي ساقتهم إلى هذا العذاب) إذ انتشر الزنى بالأخت وبالأم، كما انتشر اللواط والمساحقة ومواقعة البهائم، وخلطوا أفظع الملاذ بالطقوس المقدسة، وعدت ضروب البغاء تكريما لعشتروت، وعد الانهماك في السكر على بسط الأزهار وتحت ظلال الزيتون- كما يقول جوستاف لوبون- نوعا من العبادة.

وطال هذا الأسر ستين عاما، مما ساعد على الاختلاط بحضارة جديدة ضيعت ما بقي من أصالة العبريين... وصار الدين اليهودي غير خاص باليهود، نتيجة غلبة الثقافة الكلدانية، والتزاوج بين الأسرى

والمجتمع الجديد... لكن مع هذا تولد الإحساس بالضياع، وضرورة الحفاظ على ما بقي من الكيان اليهودي، فالتف الأسرى حول النبي (حزقيال).

ولما كان سقوط الدولة الكلدانية تحت أيدي الفرس سنة ٥٣٨ ق.م. أخذ اليهود يحتلون الوظائف العالية في الدولة الفارسية، وصارت (أستير) ملكة بفضل ابن عمها (مردخاي)،وتسلطت أستير على الملك (أحشويرش)، فصلب وزيره هامان وبنيه العشرة، لأنه كاد يفتك بمردخاي وعشيرته، و (أعطى الملك اليهود مدينة فمدينة أن يجتمعوا ويقفلوا لأجل أنفسهم، ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوة كل شعب وكورة تضادهم، حتى الأطفال والنساء، وأن يسلبوا غنيمتهم)، فكان (كثير من شعوب الأرض تهودوا، لأن رعب اليهود وقع عليهم) إذ قتلوا من مبغضيهم أكثر من خمسة وخمسين ألف [٧].. (سفر أستير).

ومع أن أحداث القصة وردت في التوراة، وعلى أقلام بعض المؤرخين، فإن الدكتور فؤاد حسنين على – الأصل، فهي تصور ملحمة حربية بين الآلهة البابليين والعيلميين، إذ أن أستير في الواقع هي عشتر، وهامان هو اله العيميليين، ومردخاي هو مردوك... ولهذا عارض الكثيرون من اليهود إقحامها على العهد القديم.

ثم أن أحداث القصة تثير تساؤلات، فالشاه يبدو موافقا على ما اتخذه هامان من إجراءات، وفي موضع آخر يبدو كارها أسفا، دون سبب... وكيف يجهل هامان العلاقة بين مردخاي وأستير، وهو الوزير المتصرف؟ هذا إلى أن التاريخ الإيراني لا يعرف ملكه باسم فشني (وشنى زوجة أحشويورش) أو أستير... (راجع التوراة الهيروغليفية ص ١٧٤/١٨٣).

بعد ما أخذ قورش بلاد بابل سنة ٥٣٨ ق.م. سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين فرجع إليها حوالي ٤٢ ألفا، وسخا الملك معهم، فرد إليهم الأوعية التي أخذت من معابدهم وأضاف إلى كنوز المعبد اليهودي في القدس أمولا من خزانته الخاصة.

وقاد اليهود في عودتهم- أبان حكم داريوس (٤٨٦/٥٢١ ق.م)- زربابل (زيرو بابل)[٨].

---

(٧) يجري احتفال "عيد الفوريم" في ذكرى هذه المذابح يومي ١٤،١٥ آذار في التقويم العبري.
(٨) من اسمه يتبين أثر الأسر في التغيير الإجتماعي، وتقوم الحجة على من يطعنون في عبرانية موسي بسبب اسمه.

وعقب العودة بنوا مذبحا على موقع المعبد، ولم يتموا بناء المعبد بسبب الحالة الاقتصادية.

وحاول إتمام البناء النبيان زكريا وحجاي.. لكن البنيان لم يتم إلا عندما ظهر (عزرا) النبي، وقد ساعد عزرا ملك فارس ارتكسيس (ارتحشيش)- ٤٢٤/٤٦٥ ق.م- الذي أباح لعزرا أن يأخذ معه إلى أورشليم كل يهودي يبغي العودة، وطالبه الملك أن يكيف اليهودية حسب كتاب الشريعة الذي بيده، فرحل مع عزرا ستة آلاف يهودي، بينهم نفر من الكهنة واللاويين، فغيروا العقيدة اليهودية التي كانت قائمة في فلسطين وقتذاك، وغذوها بالنبوءات اليهودية الجدية التي ظهرت في السبي..

وبعد اكتمال المعبد وقف فيهم عزرا وأعطاهم (القانون)، وجعلهم يقسمون على المحافظة عليه، وكان أهم حدث في ذلك الحين هو اكتمال كتابة أسفار موسى الخمسة (التوراة)، وبهذا بدأ عصر القوة في المعتقد اليهودي، والتصلب الديني.

وكان من أثر الديانة الفارسية الإيمان بالبعث والحساب، وبأن هناك محاكمة قاسية يجريها الخالق، فيذهب بعدها من يثبت إجرامه إلى جهنم، والمؤمنون يذهبون إلى الجنة.. وصاروا يؤمنون بوجود قوة للشر سموها الشيطان الذي يغرى بالعصيان، كما صاروا يؤمنون بالملائكة وبالجن.. وكانوا ينظرون إلى (قورش) على أنه (المخلص) الذي كانوا ينتظرونه ليعيد (مملكة يهوذا).

وفي سنة ٣٣٢ ق.م دخل الإسكندر المقدوني فلسطين، واحتل القدس، فخرج إليه اليهود فرحين داعين أن يخلصهم من نير الفرس وطغيانهم، جاحدين فضل الفرس عليهم.

وبعد وفاة الإسكندر (سنة ٣٢٣ ق.م) صارت فلسطين في أيدي السلوقيين، وظلت مسرحا للاضطرابات، يتداولها السلوقيون والبطالسة.

وقد تأثرت البلاد بالحضارة الهلينية، فأقيمت الملاعب، وترك الكثيرون عادة الختان وصاروا يأكلون لحم الخنزير، ويذبحونه داخل المعبد.

وهاجر بعض المثقفين إلى الإسكندرية، ودرسوا الفلسفة اليونانية، وتم التزاوج بين الفكر اليوناني والديانة اليهودية.

وتمتع اليهود بحرية مباشرة طقوسهم الدينية، حتى كان (انطيوخوس آبيفانوس)- ١٧٥/ ١٦٤ ق.م- فحاول نشر الثقافة الهيلينية بطريقة أثارت ثائرة اليهود، فانتقم منهم أشد انتقام، وحول المعبد اليهودي دارا لعبادة (زوس)، كما حرم تقديس يوم السبت والاحتفال بالأعياد. ومنع الختان، وحرم حيازة التوراة، وجعل عقاب المخالفين الإعدام، وأقام كثيرا من المعابد الوثنية، وأجبر اليهود على تقديم القرابين لها.

وكانت نتيجة هذا الامتهان العقائدي أن ثار الكاهن (متياس)، والتف حوله كثير من اليهود، لكن الحركة انتهت بفتك ذريع باليهود في أحد أيام السبت، حيث لا تجوز الحركة في ذلك اليوم، مما حدا بالحاخامات إلى الإفتاء بالدفاع عن النفس في هذا اليوم...

وتجددت الثورات بقيادة أبناء (متياس) لتحرير الأرض، وكان أهمها تلك التي كانت بقيادة (يهوذا بن متياس) جوداس المكابي، فأحرز انتصارا على الملك السلوقي، وحررت القدس، واستعادت المعبد سنة ١٦٥ ق.م، وحصل اليهود على الحرية الكاملة في تأدية شعائرهم الدينية، وطمحوا إلى تحقيق الحرية السياسية، فاستمر القتال حتى قتل يهوذا المكابي سنة ١٦٠ ق.م، وخلفه أخوه (يوناثان)، وقتل عام ١٤٤ ق.م، وجاء بعده أخوه (سمعان)، فكتب له التوفيق، حتى منحه الشعب اليهودي عام ١٤٠ق.م لقب الإمارة والقيادة ورئاسة الحاخاميين.

وبعد أن وقعت البلاد في أيدي الرومان عقد اليهود مع السلطات الرومانية الحاكمة صلحا، منحوا بموجبه حرية العبادة.

وثار اليهود سنة ٧٠م ضد الرومان، إلا أن القائد الروماني (تيتوس) دمر أورشليم، وحرق الهيكل، وبنى معبدا للآله (جوبيتر)، وقتل عددا كبيرا من اليهود، وساق إلى الأسر مئات المئات، واختص (تيتوس) صديقه (فرونتو) بيهود أورشليم، فعمل فيهم صلبا وتعذيبا، كما أرسل الأقوياء منهم إلى مصر ليعملوا في مناجمها مدى الحياة، أما الأطفال والنساء فقد بيعوا في مختلف أسواق الإمبراطورية الرومانية بأبخس الأثمان، وكانت أمنية اليهودي، أن تقع في حلبة مصارعة الثيران... وتشرد الكثيرون في بقاع الأرض، وبخاصة في بلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية ومصر وبرقة.

وحاول اليهود الثورة في عهد تراجان (سنة ١٦٠م)، لكن ثورتهم باءت بالفشل وأخذ تراجان- بعد أن أعمل القتل فيهم- عددا من الأسرى إلى روما، شكلوا مع من سبقوهم جالية يهودية كبيرة، نشطت في التبشير

باليهودية، فكان أن أصدر نيرون أمرا بتحريم اليهودية، بعدما أحس بخطر انتشارها، واعتناق زوجته لها.

ونتيجة قوة تاراجان وهادريان ونيرون، هدأت ثورات اليهود، وتفرغ أحبارهم لكتابة الكتب الدينية، فكان التلمود البابلي والفلسطيني.

بعد إعلان (دقلديانوس- ٢٨٤/٣٧٠م) المسيحية دينا رسميا للبلاد، أصبحت القدس عاصمة مسيحية، وأصبحت اليهودية بدعة، اعتناقها جريمة، ولقي اليهود من الاضطهاد على يد المسيحيين ما لم يلاقوا في كل العصور وبخاصة بعدما انتشرت المسيحية في أوروبا.

وفي القرن الرابع الميلادي عقد صلح بين الكنيسة والدولة الرومانية نص على اعتبار اليهودية العدو الأول للمسيحية عقائديا وسياسيا، فصدرت مجموعة القوانين المعروفة باسم قوانين قسطنطين، وصدر القرار التالي في ١٨ أكتوبر سنة ٣١٥م:

(ليعلم اليهود عامة أنه بعد صدور هذا القانون يعاقب كل يهودي- يتعرض ليهودي آخر ترك ملته إلى المسيحية- بالإعدام حرقا هو ومن يعاونه، أو يحرضه، ويعاقب بنفس العقوبة كل مسيحي منحرف، أو أي فرد من أفراد الشعب، يعتنق اليهودية الدنيئة).

وجاء (جستنيان) فحرم عليهم إقامة الصلوات وقراءة الكتاب المقدس باللغة العبرية، وطالبهم باستخدام ترجمة يونانية.

وتكاثرت القوانين القيصرية الخاصة بإنزال العقوبات لهم، وظل هذا حالهم حتى ظهر الملك الفارسي خسرو الثاني، وأنقض على أملاك الروم، وسقطت في يده أورشليم، فما كان من اليهود إلا أن اشتركوا مع الفرس في التنكيل بالمسيحيين، وخربوا الأديرة والكنائس، واضطروا عدد كبير من المسيحيين إلى اعتناق اليهودية، ثم عاد اليهود وخانوا الفرس، مما دفع القائد الفارسي إلى التشكيل بهم وسبى عددا كبيرا منهم وأرسلهم إلى فارس.

وبعد ذلك أخذ اليهود يتوددون إلى القيصر (هيرقليدس)، فاستجاب لهم رغبة في الانتقام من الفرس، ولما انتصر (هيرقليدس) على الفرس، واستعاد أورشليم، ثأر للمسيحيين من اليهود، ونكل بهم شر تنكيل.

وفي سنة ٤٣٩م صدر تشريع بنص على أنه لا يجوز لليهودي أن يتقلد مناصب، أو يحمل أنواط شرف، كما لا يجوز تعيينه في عمل يتصل بالإدارة أو الدفاع من اليهود.

وأصبح يزدجرد الثاني سنة ٤٣٨م في العراق جلادا لليهود، بتحريض من (مزدك) فأضطهدهم، وأغلق معاهدهم الدينية، وطاردهم.

وهكذا....

استمر اليهود طيلة فترات التاريخ يلاقون الاضطهاد والقسوة، ولم يتنفسوا الصعداء إلا في ظل الإسلام، حيث وفر لهم الحرية والأمان.

اليهود في ظل دولة الإسلام

نتيجة كل من الغزو البابلي والغزو الروماني وما لحق أورشليم من تخريب وتدمير، وما أصاب الشعب الإسرائيلي من تمزق أدى إلى هجرات كثيرة- استقرت جموع من المهاجرين اليهود شمالي الحجاز، وكانت منهم بطون بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع وبني المصطلق.

وتجمع المصادر التي وصلتنا على أن هؤلاء اليهود وجدوا بين القبائل العربية الأمن والسلام، وجادت العروبة، ونعموا بالحرية المفقودة أجيالا، وبالرجولة الضائعة، وبالفطرة العربية الموروثة.

كانوا يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية، وأنشأوا لهم مزارع في خيبر ووادي القرى وتيماء.. واشتغلوا بالتجارة والربا، وأكلوا أموال الناس بالباطل.. واشتهر بنو قينقاع بصناعة السيوف والدروع والآلات الحديدية.

واستوطن بعضهم بلاد اليمن في العصر الحميري الثاني (٥٢٥/٣٠٠ م) حيث وجدت ديانتهم أرضا خصيبة، فاعتنقها بنو حمير، وبطون من كنانة وكندة وبني الحارث، تدعيما لهم في وجه المطامع الحبشية، وخوفا من سيطرة الدولة الرومانية الشرقية...

ولقد صارت اليهودية في نظر معتنقيها اليمنيين تمثل الروح القومية، على حين صارت المسيحية رمزا للتدخل الأجنبي، وأثرا من آثاره، لهذا كان الصراع بين الديانتين محتمل الوقوع بين حين وآخر.

وانفجر الصراع بمذبحة كبرى أوقعها اليهود بمسيحيي نجران سنة ٥٢٣م، فاستنجد من أفلت منهم بالبيزنطيين، فأرسل الإمبراطور جستين الأول (٥١٨/٥٢٧م) إلى ملك الحبشة يدعوه إلى أن يضع حدا لعدوان اليهود في اليمن، واستطاع أبرهة أن يهزم ذا نواس اليهودي سنة ٥٢٥م.

وبهذا سقطت دولة حمير في أيدي الأحباش، وقضى على جميع آثار دولتهم السياسية والدينية، ووقع اليهود في قبضة العناصر النصرانية، وفر منهم من فر إلى شمالي الجزيرة أو إلى بلاد فارس.

وتبع هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب أن صار وفاق بين العرب واليهود بسبب أن العرب كانوا شركاء اليهود في عداوة الرومان، أو لأن العرب كانوا سوقا جديدة للمنتجات اليهودية.

ولكن سرعان ما تعرف العرب على المطامع اليهودية، وعلى ما يتصفون به من اللؤم والغدر والخداع.. فدب بينهم الخلاف الذي كان يصل إلى حد الحروب، وكان اليهود يخشون التمادي في العداء خوفا على مصالحهم الاقتصادية ، وتحسبا للوجود الروماني في الشمال والجنوب.

وكان اتصال بين الغساسنة وعرب الأوس والخزرج، فازداد خوف اليهود، وعملوا على الوقيعة بين القبيلتين، وناصروا فريقا ضد فريق، حتى كان يوم (بعاث) المشهور.

ومع ظهور الإسلام أخذ اليهود يتتبعون أخبار الدعوة الجديدة، ووقفوا منها موقف المستطلع، قبل أن يملوا معها أو عليها.

جاءهم النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط يسألان في وسيلة لإحراج (محمد) وكشف دعواه، فقال أحبارهم: (سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول.

ما كان أمرهم، فأنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها بم كانت نبوءته، وسلوه عن الروح ما هي، فإن أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فاصنعوا به ما بدا لكم.

وبعد أن تمت بيعة العقبة الأولى أخذ اليهود يحسون بخطر الإسلام، وكان عندهم أمل في أن يلتقوا بالرسول- صلى الله عليه وسلم- ويؤثروا عليه، فيدخل دينهم.

وكان النبي- عليه الصلاة والسلام- يرغب في لقاء اليهود، على أساس أنهم أهل كتاب بشر مقدمة، عساهم يدخلون دينه.

وما أن هاجر الرسول إلى يثرب حتى بادر اليهود بحسن استقباله، وازداد رجاء الرسول فيهم، فوثق صلاته بهم، وتقرب من كبارهم، وعقد معهم معاهدة صداقة ومودة.. وكان الهدف من وراء هذه المعاهدة أن يجمع الرسول شمل المهاجرين والأنصار مع اليهود في مواجهة المشركين.. وكانت بيعة العقبة الثانية قد أزالت ما بين الأوس والخزرج من أسباب المشاحنة.

ولكن ما لبث اليهود أن أخذوا يثيرون الفتن بين الأوس والخزرج، ويدرسون للمسلمين، حتى قال الله فيهم: "يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون، وأنتم تتلى عليكم آيات الله، وفيكم رسوله، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم".. (آل عمران -١٠١).

وتتبع اليهود رسول الله بالأسئلة ليحرجوه، وطلبوا إليه كتابا من السماء، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك، فقالوا: أرنا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم" (النساء- ١٥٣).

ولما كان فشلهم في إثارة الفتنة لا يزيدهم غلا عنادا وكفرا، فلبس بعضهم ثوب الإسلام ليطعنوا الإسلام باسم المسلمين، "وقالت طائفة من أهل الكتاب: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، واكفروا آخره، لعلهم يرجعون" (آل عمران-٧٢) "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم، إنما نحن مستهزئون" (البقرة-١٤).

واتخذوا المسجد وحلقات العلم مجلسا، ليتسقطوا أخبار المسلمين، وليطلعوا على أحوالهم، وينقلوا ذلك إلى اليهود وحلفائهم من المشركين.

فلما حدثت موقعة بدر، لم يشتركوا مع الرسول، تطبيقا لنصوص المعاهدة، وأشاعوا هزيمة المسلمين وقتل الرسول.

ثم سخر بنو قينقاع من امرأة مسلمة، فوقع الشر بين المسلمين وبينهم، ولولا أن الرسول تدارك الأمر لنشب الحرب.. لكن بني قينقاع لم يرعوا، واغتروا بقوتهم، وعرضوا بالمسلمين، فحاصرهم الرسول في ديارهم خمسة عشر يوما حتى استسلموا، ورضوا بالجلاء عن المدينة إلى أذرعات في حدود الشام.

ولم يشترك اليهود في موقعة أحد، بقصد تخذيل المسلمين، وزادوا فدبر اليهود بني النضير كمينا لأربعين مسلما ذهبوا يعلمون قبائل نجدية أمور الدين، وقتلوهم عن آخرهم، ما عدا رجلا خبر بما حدث، فذهب إليهم الرسول وصاحباه أبو بكر وعمر، ليتحدث بشأن ما جرى، فكادوا يقتلوه بصخرة تلقى من فوق جدار، فما كان من الرسول إلا أن أنذرهم بالخروج قبل عشرة أيام، فمن بقى ضرب عنقه، لكن المنافقين أغروهم بالبقاء، ووعدوهم بالقتال إلى جانبهم، فحاصرهم الرسول حتى استسلموا، وتم جلاؤهم، فريق إلى الشام، وفريق إلى خيبر.

وأما بنو قريظة فقد تعاونوا مع قريش وغطفان في معركة الخندق، وصاروا يثبطون همم المسلمين بما يشيعون من شائعات، ويتجسسون عليهم، وائتمروا بفتح ثغرة في حصونهم ينفذ منها المشركون.

وكفر الله المؤمنين شر قتال الأحزاب، فسار الرسول إلى حصون بني قريظة، وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة، فانهاروا، وصاروا "يخربون

بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين" وطلبوا تحكيم سعد بن معاذ، فحكم بقتل الرجال، وسبى النساء، وتقسيم الأموال، وقتل منهم إذ ذاك ما يقرب من التسعمائة.

ولما وصلت هذه الأخبار إلى يهود خيبر، خافوا، وأخذوا يرسلون رجالا بالأموال ليؤلبوا العرب وليوقعوا بين المسلمين.

وانتظر الرسول حتى فرغ من قريش بمعاهدة الحديبية، واتجه إلى خيبر، وافتتحها حصنا.

ولما طلبوا من الرسول حقن الدماء أجابهم إلى طلبهم، ورد إليهم صحائف من التوراة في أيدي المسلمين، وصاهرهم، ومع هذا أرادوا قتل الرسول بإهدائه شاة مسمومة.

بعد هذا لم تعد لليهود شوكة في أرض المسلمين، فمن بقى تحت الحكم الإسلامي- كبني غادية وبني حنينة- ظلوا على حالهم في عهد الرسول وعهد أبي بكر.

وفي عهد عمر علم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال في فراش موته: (لا يجتمع بجزيرة العرب دينان)، فأجلى من ليس له عهد مع رسول الله.

وحين تسلم عمر بيت المقدس من البطريك صفرونيوس سنة ٦٣٦م اشترط البطريك- في معاهدة عمر- منع اليهود من الإقامة في المدينة المقدسة.. ولكن ما كاد المسلمون يتسلمون مقاليد الأمور في البلاد حتى قضوا على استبداد المسيحيين باليهود، وما لبث اليهود أن استعادوا نشاطهم العلمي، وظهرت في طبرية نهضة علمية مباركة.

وفي عهد عثمان نشط اليهود الذين لبسوا ثوب الإسلام بقيادة عبد الله بن سبأ، وظلوا يؤلبون المسلمين على عثمان، بدعوى أنه ليس أحق بالخلافة، وأن من اختاروه لها جماعة من الطغاة الخارجين على الدين، وأن انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى لا نقل شخصيته إلى على، كما انتقلت شخصية موسى إلى يوشع.. وطورد هذا الرجل من البصرة إلى الكوفة إلى مصر، وكانت دعوته من عوامل قتل عثمان رضي الله عنه، وظهور الفتنة الكبرى في التاريخ الإسلامي.

زمن الفتوح الإسلامية

وقد تم فتح كثير من الأمصار في عهد عمر وعثمان، أبرزها بلاد العراق والشام ومصر.

وقد رحب أكثر أهل الذمة النصارى واليهود بالفتح الإسلامي، خلاصا من الاضطهاد الروماني والفارسي، ومن الصراع الطائفي، ولإعفائهم من الخدمة العسكرية، ولتمتعهم بالحرية الدينية في ظل الإسلام، وفي ظل مبادئ الإنسانية السامية التي أعلنها أبو بكر في وصيته قادته:

(لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا، ولا تعقروا نخلا وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكل، وسوف تمرون بأناس قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له).

وعاش اليهود في أمن وسلام خلال عهود الخلفاء الراشدين وبني أمية.

وفي العصر العباسي تمتعوا بحياة أكثر تساهلا، ووجدوا المجال مفتوحا أمام مواهبهم وقدراتهم العلمية، حتى أصبح لهم في بغداد مكانة عالية بفضل تشجيع الخلفاء، وتقديرهم للعلماء.

واحترف اليهود عددا من الحرف، كالصباغة النسيج وصناعة الزجاج وإدارة السفن، وتولوا كثيرا من المناصب العامة، وسافر تجارهم في بلاد المشرق والمغرب، وعادوا بالكسب الوفير، كان منهم معظم الصيارفة، كما كان لهم من يدير شئونهم الدينية، ويتولى أمور القضاء فيهم.

وفي هذا الوقت ترجمت التوراة والتلمود إلى العربية.

وبلغ عدد اليهود في العراق ستمائة ألف، أنشأوا ببغداد مستعمرة كبيرة ظلت قائمة حتى سقطت المدينة في أيدي المغول، وكان بالمستعمرة عشر مدارس ربانية، وثلاثة وعشرين كنيسا، وكان المعبد الرئيسي مبنيا بالرخام المختلف الألوان، ومزدانا بزينة الذهب والفضة.

وكانت لليهود في الأقطار الإسلامية علاقات واتصالات دينية، حتى كان رئيس يهود الفسطاط عراقيا.

ولما قامت الفتنة بين الأمين والمأمون ركبوا ظهرها، فأصابهم منها ما أصابهم.

وتمتع اليهود في الأندلس بحرية أكبر وانتشروا في جميع ميادين الزراعة والصناعة والمال والمناصب العامة، ولبسوا ثياب العرب، وتكلموا بلغتهم، واعتادوا عاداتهم.

وكان (حداي بن شيروط) اليهودي يتولى استقبال سفراء الدول الذين كانوا يفدون على البلاط الأموي في عهد عبد الرحمن الناصر.

ويسبب الحرية الدينية والعلمية التي تمتعوا بها جعلوا ينشئون المجامع العلمية في قرطبة وطليطلة وبرشلونة وغرناطة وغيرها.

وفي بعض الأوقات صارت حرفة الطب وقفا عليهم تقريبا...

وفي أشبيلية دعا المعتمد بن عباد إلى بلاطة اسحق بن بروك العالم الفلكي، ومنحه لقب أمير، وجعله حاخام كل المجامع اليهودية.

وفي غرناطة صار (شمويل هلاوي بن نجرله) وزيرا يهوديا في دولة إسلامية، ولما مات خلفه ابنه يوسف نجرلة.

وقد غلبت على (يوسف) هذا طبعة الكبر والغطرسة والتعصب في اليهود، فجرؤ على القول في القرآن ساخرا مستخفا، فثار سكان البلاد

وصلبوه، وذبحوا أربعة آلاف يهودي في غرناطة، وأرغم الباقون على مغادرة البلاد.

ولما كان عهد المرابطين ضيقوا على اليهود الخناق.. وجاء الموحدون فخيروهم بين الإسلام والخروج من البلاد، فخرج الكثيرون، وتظاهرت البقية بالإسلام.

والسر في قسوة المرابطين والموحدين أنهما دولتان قامتا على أنقاض فساد وتآمر وانهزامية في صفوف المسلمين، وتسلل نصراني يهودي في عروق الدولة المختلفة، وفي أجهزتها الإدارية الرئيسية.. كأنما أحس اليهود بأن السفينة تغرق، فعجلوا بإغراقها، لتكون لهم الحظوة في دولة الأسبان.

وفي مصر أدى تعريب الدواوين إلى انتشار اللغة العربية بين أهل الذمة، وأصبح الجميع يتكلمون لغة واحدة، مما أدى إلى نوع من الوحدة الاجتماعية والتقارب الفكري.

وانتشر الإسلام بين أهل الكتاب على نطاق واسع في العصر الطولوني.. وفي العصر الأخشيدي كان لليهود محاكمهم الخاصة.. وبلغ عدد الذميين في العصر الفاطمي خمسة ملايين نسمة، مما يوحي بالاستقرار والخير الذي كانوا ينعمون به.. وقد تولى (ابن سعيد التتري) اليهودي نظارة الخاصة لأم المستنصر الخليفة.. وكان من جراء سيطرة اليهود على كثير من مقاليد البلاد أن قال فيهم الشاعر:

يهود هذا الزمان قد بلغوا

غاية آمالهم، وقد ملكوا

العز فيهم، والمال عندهم

ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إني نصحت لكم

تهودوا، قد تهود الملك

ولم تكتف الدولة الفاطمية بإباحة ممارسة الشعائر الدينية لليهود، بل شاركت في أعيادهم الدينية بإغلاق الدواوين وتوزيع الهدايا والحلوى.

وفي العصر الأيوبي توسط لدى صلاح الدين طبيبه الخاص (موسى بن ميمون ١١٣٥/١٢٠٤م) فتدفق اليهود من بلدان أوروبا إلى فلسطين ومصر، وتلقوا كل حماية ممكنة.

وجاء العثمانيون ففتحوا لهم أبواب الوظائف الحكومية والمهن الحرة، حتى وصلوا إلى أعلى المراتب، وكان أطباء أكثر سلاطين آل عثمان يهودا، وصارت لهم المزارع والمتاجر والمصانع، وكثرت دور العبادة.. وزحفوا إلى البلقان التي سبق أن طاردتهم واستعادوا وجودهم في قلب أوروبا.

ومع ذلك.. فقد سجل التاريخ أن اليهود لم يكن منهم سنة ١٢٦٧م بمدينة القدس إلا اثنان إخوان، وفي عام ١٣٢٧م توطنت فيها طائفة صغيرة تشتغل بالصياغة، وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر تراوح عددهم بين ٢٥٠ و ١٥٠٠.. ولعل ذلك يرجع إلى استمرار الأخذ باتفاقية (عمر-صفرونيوس)، وحرصا على حماية الأماكن المقدسة إسلامية ومسيحية.

في مصر الحديثة:

وفي داخل البلاد العربية- في عصرنا هذا- تمتع اليهود حتى بحرية الحركة ضد أصحاب البلاد أنفسهم.

فإذا أخذنا مصر مثلا نجد أنه بينما كانت قضية الاضطهاد الواقع على الضابط اليهودي دريفوس تهز المجتمع اليهودي في أوروبا كان الكاتب والمفكر اليهودي يعقوب صنوع (أبو نضارة) يصدر جريدته (التنكيت والتبكيت) مسمها في أنهاض الحركة الوطنية عن طريق الصحافة والمسرح.. فلما اشتد الاضطهاد الأوروبي لليهود نجد حكومة حسين رشدي باشا- في عهد السلطان حسين- تسارع إلى استضافة المهاجرين اليهود من روسيا وبولندا ومن فلسطين ذاتها- أبان الحرب العالمية الأولى- وتنظم عملية الغوث لهم، وتعيد الأمان إلى نفوسهم.. وتفتح لهم الإسكندرية مناطق القباري والبلدية ومبنى الحجر الصحي ومحطة الورديان ودار المحافظة من الأماكن الحكومية.. كما أمر السلطان حسين بأن تصرف لهم إعانة يومية قدرها ثمانون جنيها زيدت إلى مائة، وهو مبلغ غير ضئيل في ذلك الحين، بالإضافة إلى تبرع أثرياء اليهود وغيرهم..

وقد جاء في صحيفة (مصر) الإسرائيلية (٣١ يناير سنة ١٩١٥) أنه كان (يعيش في منطقة القباري نحو ١٦٠٠ نسمة، يتكلمون أربع عشرة لغة، وتستخدم اللغة العبرية وسيلة للتفاهم بينهم، والمكان يشبه قرية مستديرة الشكل، وهي مسورة ضمانا للأمن)، وقد بني لهم المصريون (معبدا ومستشفى، فضلا عن أن المكان نفسه صحي وملائم للمعيشة، وبه حدائق خضراء وطرقات موصوفة ونافورات مياه).

كتب ادجار ساويرس رئيسهم بمدينة الإسكندرية- شاكرا حسين رشدي باشا يقول: (لقد أثبتم مرة أخرى تحرر هذا البلد وضيافته الكريمة، وأن طائفتنا لعلى ثقة في هذه المناسبة بأنها تعبر عن عرفان يهود العالم للحكومة المصرية على الإجراءات السريعة الفعالة التي اتخذتها لمساعدة هؤلاء المطرودين البؤساء).

وفي مارس ١٩١٥م دعت لجنة اللاجئين بالإسكندرية إلى اجتماع حضره نحو مائتي شاب، وتناقش الحاضرون بشأن تكوين فرقة يهودية تنضم للقوات البريطانية، شريطة أن تحارب في الجبهة الفلسطينية، لتمكين الوجود اليهودي في فلسطين، دون أدنى رعاية وتقدير للأرض التي فتحت ذراعيها لاحتضانهم.

وتألفت على الفور في الإسكندرية فرقة تضم ٥٠٠ متطوع، ٣٥٠ من اللاجئين، ١٥٠ من يهود الإسكندرية، وسميت هذه الفرقة (فرقة راكبي البغال) التي أدت للإنجليز- أثناء حملة غاليبولي- خدمات كثيرة، حتى صدر الأمر بتسريحها في مارس سنة ١٩١٦م.

وكان جنود الفرقة يلبسون قبعات عليها نجمة داود، ولها علم مرسوم عليه هذه النجمة، وباركها الحاخام اليهودي الأكبر (ديللا برجولا)، ووزع على أفرادها كتيبات باللغة العبرية تحتوي على التعاليم الداعية إلى التمسك بالعقيدة وبالواجبات العسكرية.

وبعد حل هذه الفرقة تكون في لندن (الفيلق اليهودي) في ٥ أغسطس سنة ١٩٧١م، بقيادة الكولونيل باترسون للمساهمة في العمليات الحربية في فلسطين، واستقبل هذا الفيلق أثناء مروره بالإسكندرية استقبالا حافلا من يهود المدينة.

وقد رأى اليهود في هذا الفيلق (نواة لجيش يهودي، يقوم- حين يكسبون الحرب- بتوزيع فصائله في فلسطين، لكي يلزم العرب دائما حدود النظام).

وفي عهد الملك فؤاد (١٩١٧/١٩٣٦) رسخت أقدام اليهود في البلاد، وتفتحت أمامهم الأبواب الواسعة في كل مجال، حتى عرفت مصر وزيرا لماليتها اليهودي يوسف قطاوي باشا، وكان تعيينه تقديرا أدبيا وتكريما للطائفة اليهودية، واحتل عدد من اليهود مقاعد في مجلس الشيوخ والنواب.

وتأسست المحافل اليهودية في القاهرة والإسكندرية وعواصم الأقاليم المختلفة، وساهمت المحافل في مساعدة اليهود اللاجئين.. وكان من أشهرها محفل (ابن ميمون) الذي افتتح في ١٦ يناير سنة ١٨٨٧، وظل يمارس ألوان النشاط، فلما كان عام ١٩٤٤ أختير حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية رئيسا شرفيا له.. وإلى جوارهذا المحفل الكبير كان محفل (الياهو جنابي) بالإسكندرية، ومحفل (بناي بريث) بالقاهرة، ومحفل (ماجن ديفيد) بالمنصورة، ومحفل (أوهيل) بطنطا، ومحفل (إسرائيل) ببورسعيد.

وبلغ عدد المعابد في القاهرة- خلال النصف الأول من القرن العشرين حوالي ٢٩ معبدا، وفي الإسكندرية ٢٠ معبدا، بالإضافة إلى عدد من المعابد في بورسعيد ودمنهور وكفر الزيات وطنطا والزقاقيق والمنصورة وميت غمر والمحلة الكبرى.

وإلى جانب نشاط المحافل والمعابد في الميادين الثقافية والاجتماعية والسياسية تأسست جمعيات كثيرة تمارس مختلف ألوان النشاط.. منها جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية (١٩٢٥)، وكان يرأسها يوسف قطاوي باشا والجماعة الفنية اليهودية بالقاهرة (١٩١٢)، وجمعية بخور حوليم (١٩٠٩)، والاتحاد الإسرائيلي بهوليوبوليس (١٩٢٢) واتحاد الشبيبة اليهودية (١٩٣٥) والجمعية الخيرية الإسرائيلية بالإسكندرية (١٨٨٥)، والمبرة الإسرائيلية للمساعدات المدرسية للغذاء والكساء (١٨٩٤) وجمعية المكابي الرياضية (١٩١٠).

وفي سنة ١٩١٧ أسست الجالية اليهودية جريدة (النهضة اليهودية) بالفرنسية، وحلت محلها- بعد خمس سنوات (المجلة الصهيونية).. وفي سنة ١٩٢٠ صدرت (مجلة إسرائيل) في ثلاث طبعات، العبرية والفرنسية والعربية.. وصدرت مجلة (الفجر) بالقاهرة سنة ١٩٢٤. وكان أول صدورها باستانبول سنة ١٩٠٨ وتوقفت سنة ١٩١٩.. وصدرت مجلة

(كاديما) الإسبوعية سنة ١٩٣٥، وفي الإسكندرية صدرت (الرسول الصهيوني) بالفرنسية سنة ١٩٠١، وفي سنة ١٩١٢ صدرت (مجلة مصر الإسرائيلية) بالفرنسية، وصدرت مجلة (الشمس) بالعربية سنة ١٩٣٤ وكان لها اتجاه صهيوني بارز، وصدرت جريدة (المنبر اليهودي) سنة ١٩٣٦ منبرا للحركة الصهيونية، وقد جاء في عددها الصادر في ٢٥ مارس سنة ١٩٤٢ بقلم المحامي فيلكس بنزاقين عضو المنظمة الصهيونية الجديدة، بعد زيارة للقدس.

(يا يهود مصر، إن الشعلة عالية على جبل المكبر، وقد أضاءت روحي إليكم نداء عاجلا لمدها بمعونتكم، فلا تترددوا في تقديم العون لها دون تحفظ، فأنتم بهذا إنما تقومون بأوجب الواجبات وأعظمها).

وسيطرت على الاقتصاد المصري خلالف الفترة ١٩٤٧/١٨٩٧ عائلات رولو وموصيري وعاداه وعدس وقطاوي وشيكوريل وجاتينيو وجرين ومنشه ومزراحي وغيرها من العائلات اليهودية.

وإذا كان يوسف قطاوي باشا قد تولى وزارة المالية فقد كان ابنه أصلان قطاوي بك سكرتيرا عاما لمصلحة الأملاك الأميرية، ومندوبا عن مصر في شركة قنال السويس، ومندوبا للحكومة في البنك الأهلي المصري، وتولى رئاسة (لجنة مدارس الطائفة اليهودية)، وكان عضوا في المحافل والمؤسسات الدينية اليهودية.. وشغل الابن الثاني رينيه قطاوي بك مناصب في كثير من الشركات، وكان عضوا بمجلس النواب عن دائرة كوم أمبو، وعضوا بالجمعية الزراعية الملكية، وعضوا بمجلس الطائفة وبلجنة مدارسها، كما كان من مؤسسي جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية.

وسيطر جوزيف موصيري على معظم دور السينما في القاهرة والإسكندرية والسويس وبورسعيد واحتكر استيراد الأفلام الخام وبيعها وطبع الترجمة على الأفلام الأجنبية.

وكان سلفاتور شيكوريل بك رئيسا لمجلس إدارة مؤسسة شيكوريل وعضوا بمجلس الغرفة التجارية المصرية، وعضو البعثة الاقتصادية المصرية التي سافرت إلى السودان لفتح مجالات أمام رءوس الأموال المصرية، كما كان من مؤسسي جماعة أصدقاء الجامعة العبرية.

وفيكتور هراري صار مديرا للحسابات المركزية، ومندوبا عن الحكومة المصرية في لجنة إصلاح ميزانية الأوقاف، كما تولى رئاسة

الجمعية المصرية للدائرة السنية، وكان رئيسا وعضوا بمجالس إدارة عدد من البنوك والشركات.

وأدوين جعار كان رئيس جمعية التجار المصدرين بالإسكندرية، ولجنة بذرة القطن، ولجنة بذرة القطن، ولجنة بورصة مينا البصل، وفي الوقت نفسه كان نائب رئيس الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية، وتولى أمانة الصندوق الدولي لحماية المرأة والفتاة لمدة ١٥ سنة.

وفي سنة ١٩٤٢م- حين كان العداء للسامية على أشده- كان اليهود في مصر يسهمون في إدارة وتوجيه ١٠٣ شركة من مجموع الشركات البالغ عددها وقتئذ ٣٠٨، فضلا عن الإسهام في إنشاء عدد كبير من المصارف والشركات المالية والإنتمائية التي كانت تتولى تقديم القروض، وبيع وشراء الأوراق المالية والمستندات، وتتاجر في العقارات والأراضي الزراعية، وتمول المشروعات الصناعية والتجارية.. وأسهم الرأسماليون اليهود في إنشاء عدد من شركات النقل البري والبحري.. وأسهموا في الصناعات الزراعية وفي صناعة البناء وانتاج مواده، واستغلال المحاجر.

وبرز عدد من اليهود في ميادين الهندسة والطب والعلوم والزراعة ونالوا شهرة واسعة، وحصلوا أموالا وفيرة وظل حاخام يهود مصر "دافيد ناحوم" عضوا بالمجمع اللغوي في مصر حتى وفاته سنة ١٩٥٠.

واستغل اليهود هذه السماحة المصرية لصالح الأطماع الصهيونية، فأسست جمعية (بني صهيون) سنة ١٩٠٨، التي اندمجت في جمعية (زئير زيون) سنة ١٩٠٩ بالإسكندرية، وقد شاركت هذه الجمعية بمجهود كبير في تكوين (فرقة راكبي البغال)، وأنشأت مكتبا للاستعلامات، مهمته توطين اليهود في فلسطين، والدعوة إلى الهجرة اليهودية، وتسهيل مهمة المهاجرين أثناء مرورهم بمصر إلى فلسطين.

وفي ١١ أغسطس سنة ١٩١٨ أعلن البارون منشه وجوب تكوين لجنة الهدف منها لم شمل كافة الجمعيات اليهودية من أجل الاهتمام بكل ما له صله بفلسطين. وتدعيم الجامعة العبرية في فلسطين، والمساعدة على توطين اليهود وإنشاء المستشفيات والجمعيات الخيرية.. وفي ١٤ أغسطس سنة ١٩١٨ دعت اللجنة حاييم وأيزمان أثناء مروره بالإسكندرية ليلقي كلمة شرح فيها المتطلبات العاجلة للقضية الصهيونية، وبين موقف المنظمة العالمية سياسيا واقتصاديا وعقائديا، وكشف عن عدم كفاية التنظيمات القائمة على تحقيق الهدف، وأوضح الوسائل الكفيلة بعلاج ذلك... وعقب

هذا أطلقت اللجنة على نفسها (اللجنة المشايعة لفلسطين)، ودعت إلى الاكتئاب، فسارع عدد كبير من يهود الإسكندرية إلى التبرع، وبلغت الاكتئابات الأولى في بضعة أيام ١٠٠١٩ جنيها.

وفي نفس الوقت أسس (ليون كاسترو) أول فرع للمنظمة الصهيونية في مصر وأصبحت جمعية (زئير زيون) سنة ١٩١٨ فرع المنظمة الصهيونية العالمية في الإسكندرية، ثم انضم إليها أعضاء (اللجنة المشايعة لفلسطين)، وأقامت المنظمة فرعا لها في بورسعيد، وفي القاهرة اتخذت مقرا لها بشارع أبو السباع (جواد حسني الآن)، وأعلنت صراحة أن هدفها نشر الدعوة الصهيونية بين جماهير اليهود، والمساعدة على تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وسارع ليون كاسترو إلى إصدار (المجلة الصهيونية) سنة ١٩١٨ لتكون لسان حال المنظمة... وأنشأ فرع المنظمة في مصر- بكل من القاهرة والإسكندرية وبورسعيد فرعا للصندوق القومي اليهودي (كيرن كايميت)، يجمع تبرعات اليهود لشراء الأراضي في فلسطين، ويساعد على توطين العمال اليهود بها.

وتأسست سنة ١٩٢٢ الجمعية المصرية لأصدقاء الدراسات العبرية برئاسة رودلف شالوم، لتكوين العناصر القادرة على نشر الثقافة العبرية بين أبناء الطائفة، وتزويدهم بالفكر الصهيوني.

وأصبحت (المحافل اليهودية) منبرا صريحا للدعوة الصهيونية، فيها تنظم اللقاءات، وتلقى المحاضرات وتدبر المؤامرات.

وفي سنة ١٩٤١ تأسست (اللجنة اليهودية للترفيه عن البحار والجنود والطيارين) لإقامة النوادي الترفيهية للجنود اليهود، وتقديم المساعدات الدينية والروحية والمادية.

وفي أواخر مارس سنة ١٩٤٢ حضر إلى مصر اسحق بن زيفي- الذي صار رئيسا لجمهورية إسرائيل فيما بعد- وكان وقتئذ رئيسا للمجلس الوطني اليهودي في فلسطين، وزاره الحاخام الأكبر وكبار أبناء الطائفة، وعقد اجتماعا خاصا مع أعضاء المجلس الأعلى للطائفة برئاسة يوسف قطاوي باشا، وناقش معهم جوانب المشكلة الفلسطينية، وبين وجهة نظر المجلس الوطني اليهودي.

وفي سنة ١٩٤٣ قرر ليون كاسترو أن يعيد تشكيل فرع المنظمة الصهيونية تحت اسم (الاتحاد الصهيوني المصري) واتخذ له مقرا بشارع

عماد الدين رقم ١١٦، وعندما انعقدت الجمعية العمومية للاتحاد الصهيوني في ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٤- بعد مقتل اللورد موين- ألقى كاسترو كلمة أكد فيها أن يهود الولايات المتحدة أصبحوا يعترفون بأنه لم يعد هناك ملجأ للشعب اليهودي إلا ما حدده هرتزل، ووجه نداء ليهود مصر أن يضاعفوا جهودهم من أجل الوصول إلى هذا الهدف.

بعد ما استقال جابوتنسكي من الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية- في يناير سنة ١٩٢٣م- احتجاجا على سياسة (الكتاب الأبيض)- الذي صدر سنة ١٩٢٢- منهما زملاءه في المنظمة بفقدانهم الواقعية السياسية، لأنهم يسايرون بريطانيا، مع أنها تسوف في تنفيذ وعد بلغور- عاد البير ستراسلسكي إلى مصر عام ١٩٢٩ ليؤسس فرعا لحزب (التصحيحيين) يبشر بدعوته المتطرفة، ويحمل لواء المعارضة في صفوف فرع المنظمة الصهيونية بمصر، وأصدر جريدة سياسية أسبوعية باسم (الصوت اليهودي) بالقاهرة، واتخذ مقرها منتدى للاجتماعات السياسية الصهيونية.. ولم يمض عام ١٩٣٦ حتى أنشأ (ستراسلسكس) فرعا آخر للمنظمة الجديدة بالإسكندرية، وفرعا ثالثا ببورسعيد، وشهد عام ١٩٣٧ نشاطا كبيرا على أثر نشر تقرير (لجنة بيل الملكية) بشأن العلاقات العربية اليهودية في فلسطين، إذ مر جابوتنسكي بالإسكندرية واجتمع بأعضاء المنظمة الجدية، وعقد مؤتمرا صحفيا بفندق سيسيل في ٥ يوليو سنة ١٩٣٧، تناول فيه المشكلة الفلسطينية، وأعلن استنكاره لفكرة التقسيمين وإصرار المنظمة على إقامة دولة يهودية في الحدود التاريخية لإسرائيل، وضرورة تنظيم الهجرة على نطاق واسع، وأكد أنه لا يمكن الحصول على موافقة العرب إلا بعد إقامة الدولة الصهيونية قسرا وجبرا، وفرضها على معارضيها.

وافتتح (جاك سيد) مكتبا عقاريا بالإسكندرية، وكيلا عن عدد من المؤسسات اليهودية في فلسطين، في محاولة لتجريد العرب من أراضيهم.

وبعد أن أصبح فرع المنظمة في مصر تابعا من الناحية التنظيمية لمكتب القدس، وللتوجيه الشخصي لرئيسه التمان، حضر التمان سنة ١٩٤٢ إلى القاهرة، وعقد اجتماعا بمنزل سيمون يانكوفيتش بشارع نوبار باشا، للوطن القومي اليهودي، ومصير الجنود بعد تسريحهم من جيوش الحلفاء، وفي سنة ١٩٤٣ ألقى التمان- في مكتب الاستعلامات الصهيوني التابع للوكالة اليهودية وطالب بالعمل على تحرير اليهود في ألمانيا ودول

البلقان، وجمع آلاف الجنيهات من أثرياء اليهود في مصر.. وفي فبراير سنة ١٩٤٤ عقد التمان مؤتمرا صهيونيا كبيرا في منزل المسيو روسانو بالإسكندرية، أكد فيه أنه في حالة فشل الصهيونية في الحصول على مطالبهم بالوسائل السليمة فإنهم سيضطرون إلى العنف وحمل السلاح..

وفي ١٩ إبريل سنة ١٩٤٤ اجتمع التمان بجورج جيز باشا وكيل حكمدارية الإسكندرية، وهدد بأنه إذا لم تستجب الحكومة البريطانية لإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، فإن الصهيونيين سيتكلفون بتحقيقها بوسائلهم الخاصة، وأنه هو شخصيا سيتقدم الصفوف، ولم يملك جيز إلا أن يقول: أنه لا يعينه إلا الابتعاد بيهود مصر عن التورط في مشاكل اليهود الفلسطينيين، حتى لا يؤثر ذلك على علاقتهم بالشعب المصري وحكومته.

ولما كانت تطورات الحرب العالمية في بداية سنة ١٩٤٤ تشير إلى انتصار الحلفاء، أخذت المنظمة الصهيونية الجديدة تتحرك بدرجة عالية من التنظيم والتكتيك، لاتخاذ الخطوات الكفيلة بإعلان الوطن القومي اليهودي غداة انتهاء الحرب... وعمد (ستراسلسكي) إلى إعادة تشكيل فرع الحزب بالقاهرة باعتباره قومسييرا عاما، وزعيما للجماعة في مصر، ودعا إلى اجتماع في مكتبة في ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٤ اقترح فيه تكوين هيئة الفرع، وحرر محضرا بهذا الاجتماع إلى الحاكم العسكري في مصر يطلب موافقته على تكوين الفرع.

وظل النشاط الصهيوني على أشده حتى مارس سنة ١٩٤٥، حين ألقى القبض على روفائيل سادوفسكس الذي كان أمينا عاما للمنظمة الصهيونية الجديدة وفي نفس الوقت كان عضوا في الجماعة الإرهابية (شترن)..

وبدأت خيوط التنظيم الصهيوني في مصر تتكشف بعد أن اعترف سادوفسكي بأن ستراسلسكي سجل دفاع قاتلي اللورد موين في جلسات المحاكمة- وهو الدفاع الذي منعت الحكومة إذاعته- وأعطاه لأحد ارهابي (شترن)- هو بنيامين جبنر- لتوصيله إلى مركز العصابة في فلسطين.

وطل ستراسلسكي- بصفته القومسيير العام للجماعة الصهيونية- يخاطب السفارات والمفوضيات ورؤساء الجاليات والمحافل الماسونية فترة طويلة، حتى تم طرده من البلاد في ٢٨ مايو سنة ١٩٤٥.

هذا مجمل النشاط اليهودي الصهيوني في مصر، التي كان يبلغ تعداد اليهود بها ٧٥ ألفا حتى سنة ١٩٥٠م، فكيف بالمغرب التي كان العدد بها ٢٢٥ ألفا، وفي كل من العراق والجزائر ١٢٠ ألفا، وفي تونس ١٠٠ ألف؟؟

وما ظنك بسماحة العرب بعد أحداث ١٩٤٨ وقد زار مصر في إبريل سنة ١٩٥٥ الحاخام اليهودي المر برجر المدير التنفيذي للمجلس الأمريكي لليهودية، فشهد أحسن حال لليهود في مصر، برغم الصعوبات والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت البلاد تعاني منها، وقال: أنه كان الأجدر بالأمريكيين أن يأتوا ليروا كيف يعيش ٥٠ ألف يهودي لهم ارتباطاتهم الإنسانية والوطنية والتقليدية بمصر وتاريخها...

اليهود في أوروبا

لم يكن المجتمع المسيحي ليسمح لليهود بالاستقرار، بسبب سوء الأخلاق اليهودية، وحرص اليهود على امتصاص عرق الكادحين، وعزلة (الجيتو)، ولما بين اليهودية والمسيحية من صراع عقائدي ودموي منذ تآمر اليهود على المسيح.

لذلك ما ونيت الإمارات المسيحية في الجنوب والغرب الأوروبي عن ملاحقة اليهود، ومطاردتهم في اتجاه الشمال والشرق.

وأبان الحروب الصليبية، وتأريث الحماسة الدينية، ذبح عدد كبير من اليهود، وبخاصة عقب سقوط القدس في أيدي الصليبيين، إذ يقدر عدد الذين ذبحوا في المدينة المقدسة من المسلمين واليهود سبعين ألفا.

ويضيف بعض المؤرخين أن الصليبيين استعدوا لواجبهم المقدس خلال مسيرتهم عبر أوروبا- بأن ذبحوا اليهود في كل مدينة مروا بها، واحرقوا بيوتهم، فلما سقطت القدس ساقوا اليهود إلى كنيسهم حيث أحرقوا،

على حين كان اليهود الأوروبيون من وراء الحملات الصليبية بالمال وتأريث روح العداء ضد الإسلام والمسلمين.

وليت رجال التاريخ يقارنون بين دخول المسلمين القدس في عهد عمر، و\خول هؤلاء الذين يحملون راية المسيح!!

وفي سنة ١٢٩٠ م قضى الإنجليز على اليهود جميعا بالنفي، وتبعهم في ذلك الفرنسيون وسرت العدوى إلى شعوب أوروبا الوسطى.. وبلغ الاضطهاد أشده في العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي بأسبانيا والبرتغال.. ولم ينج من هذا الاضطهاد الجماعي والملاحقة الشرسة سوى الجماعات الصغيرة في إيطاليا.

كان التصوير الكنيسة لليهود في أبشنهع صورة ذا أثر كبير فيما أصاب اليهود على أيدي المسيحيين.. في عامي ١٣٤٨/١٣٤٩م انتشر الموت الأسود في أوروبا، فاتهم اليهود بأنهم سمموا مجاري المياه، فاشتدت حملة القتل والتشريد التي شنها المسيحيون عليهم، بالرغم من محاولة البابا (كليمنس السادس) الدفاع عنهم بحجة أن الوباء من الله، وأنه أصاب اليهود كما أصاب غيرهم.

يقول المؤرخ اليهودي الفرنسي جول إيزاك: أنه من المألوف إذا طلب طفل يهودي في المدرسة من طفل مسيحي أن يلعب معه أن يرد عليه الطفل المسيحي قائلا: كلا، إنكم قتلتم المسيح...

بمعنى أن المسيحيين أرضعوا أبناءهم الكراهية والحقد والرغبة في الثأر من اليهود.. ولهذا يروي المؤرخ ذاته أن أسرة مسيحية إيطالية كانت تحذر ابنها يقولها له:

أباك أن تعرف سكان الدور الأول- اليهود- أو تدخل شقتهم- وإلا خطفوك وذبحوك كما فعلوا بالمسيح.

ولقد تفنن الألمان في تعذيب اليهود، فكانوا يجردونهم من ملابسهم، ويخزونهم بالشبوك، ثم يسوقونهم جماعات إلى حفر يحشرونهم فيها، ويغطونهم بالحطب، ويشعلون النار..

وحرم على المسيحي طعام اليهودي، ولم يكن يجوز لليهودي فتح أبواب مساكنهم ونوافذها، كما لا يجوز عدم السير في الطرقات أيام الأعياد

المسيحية، ويجب على اليهودي أن يغطي رأسه بقبعة مدببة من أعلى تمييزا له.

وظل اليهود عرضة للتقتيل والحرق والتشريد حتى جاء فريدريش الثالث (١٤٤٠/١٤٩٣م) فشعر بعبء الضائقة المالية التي تعانيها البلاد بسبب القيود التي فرضتها الكنيسة والرأسماليون من المسيحيين، فأعلن حمايته لليهود، ومنحهم كثيرا من الأمان، ولكن ما لبث أن وجد طفل لم يتجاوز الثانية قتيلا بإيطاليا سنة ١٤٤٥م وأتهم اليهود بقتله، فانقض المسيحيون عليهم تقتيلا وتنكيلا.

وحدث أن مجلس مدينة نورمبرج تقدم في سنة ١٤٧٣ م برجاء إلى القيصر فريدريش الثالث أن يطرد جميع اليهود من مدينتهم، فأهمل القيصر الرجاء، فلما جاء مكميلان الأول (١٤٩٣/١٥١٩م) أصدر في يوليو سنة ١٤٩٨م قرارا بإجابة هذه الرغبة، وطرد اليهود نساء ورجالا عن المدينة، وأخذت المدن الأخرى تتسابق في التخلص منهم.

وفي ٣١ مارس سنة ١٤٩٣ أصدر فرديناند وايزابيلا بأسبانيا مرسومهما الشهير الذي يعد بحق وثيقة الوحشية والهمجية، ففتكوا بالمسلمين واليهود فتكا ذريعا، فهام اليهود على وجوههم تاركين وراءهم كل ما يملكون، وعادوا من حيث أتوا إلى أحضان الإسلام في المشرق العربي.

واستمرت الحملات العدائية بين مد وجزر حتى ظهرت في ألمانيا سنة ١٨١٩ جمعية (هب هب) تهاجم اليهود (ملوك العصر) الذين اعتصروا ثروات الشعوب، وامتصوا دماء الأبرياء.. وفي سنة ١٨٨١ كانت رائحة الدخان تنتشر من البحر الأسود إلى بحر البلطيق، إذ كانوا يحرقون اليهود وبيوتهم وكتبهم.. وحددت لهم روسيا مناطق لا يخرجون منها، وألزمتهم الخدمة العسكرية خمسة وعشرين عاما.

يقول باركس: لقد كان معتقدا أن اليهودي يطلب دم المسيحي لأغراض الطقوس الدينية، وأنه يسرق أطفال المسيحيين، ويسمم الآبار، وينشر الأمراض وكان في ذاكرة عامة أوروبا أن اليهود يمتصون جهود البلاد الاقتصادية، ويمثلون الطرف الخبيث الخطر الذي يسعى أبد الدهر لتحطيم المسيحية.

ويقول توينبي: لقد أصدر مجمع طليطلة الكنسي المنعقد بأمر من الملكة أيفيكا سنة ٦٩٤م (أن جميع اليهود يعتبرون عبيدا لأسيادهم المسيحيين، وعلى هؤلاء الأسياد أن يمنعوا اليهود من ممارسة أي طقس من الطقوس الدينية، وتصادر جميع أموال اليهود لصالح خزانة الدولة، وينتزع منهم أولادهم بعد بلوغهم السابعة من عمرهم، ويربون تربية مسيحية).